الإصلاحات.. ماهيّتها، سبل تحقيقها، أولوياتها

المناسبة: لقاء أخوي

الزمان والمكان: 7 ربيع الثاني 1421هـ ـ ق طهران

الحضور: كبار مسؤولي النظام الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين سيما بقية الله في الأرضين.

قال الله الحكيم في كتابه <بسم الله الرحمن الرحيم * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيمْ>[1].

أرحّب بكم أجمل ترحيب أيها الإخوة والأخوات المسؤولون والمدراء البارزون في نظام الجمهورية الإسلامية.

إنه لاجتماع رائع وممتاز جداً، وعساه يكون مفيداً إن شاء الله.

إنّ حديث سماحة السيد خاتمي[2] كان حديثاً رائعاً ومفيداً، فلنتذكره إن شاء الله ولـيكن لنا درساً على الدوام، ولاسيما ما يتعلّق منه بسيرة مولى المتّقين وإمام الموحّدين أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام).

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 174.

[2] السيد محمد خاتمي (1943ـ ..) ولد في مدينة أردكان في إيران وهو الرئيس الخامس للجمهورية الإيرانية (1997 ـ 2005م). نشأ خاتمي في كنف أسرة تركمانية متدينة، ودخل قم عام 1961م ودرس في مدارسها الدينية بعد إنهاءه دراسته الإبتدائية، ودرس الفلسفة وحصل على إجازة البكالوريوس في الفلسفة من جامعة أصفهان، واستكمل دراسته الدينية بعد ذلك في معهد قم. وفي العام 1970م عاد ليدرس العلوم التربوية في جامعة طهران، وبعدها عاد إلى قم لإكمال الدراسة الحوزوية.

طهارة القلوب بذكر الله

إنّ الهدف من هذا الاجتماع, هو بالدرجة الأولى, إيجاد الألفة والتعاطف.

فلو استطعنا تأليف الأذواق والأفكار فيما يخص القضايا المختلفة لكان ذلك أولى، وأمّا إذا اختلفت الأذواق والسلائق حول بعض الأمور، فسيكون من شأن التعاطف أن يملأ ما بقي هناك من فراغ:

إن السكوتَ لحرمة في ذاته والمرء يَفضُلُ وُدُّه كلماتِهِ

إنّ الود والتعاطف يكون أكثر يُسراً بذكر الله؛ لأن ذكر الله يضيء مشعلاً في قلب الإنسان، ويغمر الأفئدة بالنور، ويمسح عنها غبار الحقد والبغضاء والأنانية، ويمثّل مرساة للقلوب المتلاطمة والمضطربة، وبذكر الله يتولّد الهدوء وتطمئن القلوب وتُستعاد الثقة.

وإنّ ذكر الله هو دائماً في متناول القلوب الطيّبة، ما عدا قلباً ابُتلي بداء الخبث، فلن يتيسّر له ذكر الله، ولن يكون مثل هذا التوفيق من نصيبه، وسيضلّ طريقه نحو حريم القدس الإلهي.

إنّ القلب الملوّث بالشهوة وحب السلطة, وكراهية عباد الله, والملوّث بالحسد والأنانية والجشع المادي لا يجد طريقه نحو حريم القدس الإلهي، إلاّ إذا تطهّر من كل ذلك:

قم تَطَهّر قبل أن تغشى حريم لا تدنس كعبة الوصل برجس الآثمين العاشقين

وفي عهد الشاه، كان لخاتمي نشاطات سياسية معارضة، فشارك في نشر البيانات الصادرة عن مؤسس الجمهورية الإيرانية ، الإمام الخميني. ترأس مركز هامبورج الإسلامي في ألمانيا في الفترة التي سبقت انتصار الثورة في إيران عام 1979م.

إنّ الطريق إلى حريم قدس الذكر الإلهي مغلق أمام القلوب الملوّثة، فلابد لها أن تتطهّر من الدنس, ولو كتب للقلب أن يتعطّر ويتزيّن بذكر الله، فسوف تتيسّر له الاستجابة الإلهية بلا أدنى شك: <ادعوني أستجب لكمْ>[3] فلا دعاء إلاّ وهو مستجاب, ولا تعني الاستجابة أن يتحقّق للإنسان ما يريد على نحو الإطلاق ــ فمن الممكن أن يتحقّق له ذلك، ومن الممكن أيضاً ألاّ يتحقق نظراً لبعض العلل والمصالح والموجبات ــ ولكن لابدّ من الاستجابة الإلهية, وإنّ هذه الاستجابة هي نظر الله تعالى إلينا وعطفه علينا وشفقته بنا, حتى ولو لم يتحقّق لنا ما نريد، وعسى أن تُحبّوا شيئاً وهو شر لكم, ولكنّ نداء "يا الله" لابدّ وأن يستتبع: لبيك, فلنحاول تعطير وتطهير قلوبنا، فما أحوجنا اليوم إلى تطهير القلوب.

إنني من أحوجكم جميعاً إلى هذا العلاج الإلهي، وإننا نحن الذين نتحمّل على كاهلنا المسؤوليات الجسام؛ لأشدّ حاجة من غيرنا.

إنّ مسؤولياتنا لخطيرة، وقد فرض الله سبحانه وتعالى كل هذه العبادات الثقيلة وهذا السهر المضني في جوف الليل على النبي الأكرم (ص) وحثّه على البكاء والتضرع في كافة الميادين؛ بسبب ما يحمل على عاتقه من مسؤولية جسيمة.

إنّ الإنسان بحاجة إلى توثيق علاقته بالله تعالى بقدر ما يتحمّل من مسؤولية, ولو استطعنا توثيق صلتنا به سبحانه لصلحت أمورنا, وتمهّدت أمامنا السبل واستضاءت أذهاننا, وباتت الآفاق واضحة أمامنا.

وأما إذا لم نتمكّن من حلّ هذه العقدة فلن تستقيم أمورنا على ما ينبغي, وربما استطاع الإنسان تحقيق النجاح في بعض الأمور، إلاّ أنّ الهدف لا ينحصر بالنجاح في الأمور الدنيوية؛ فهدف الإنسان المؤمن الموحّد يمتد إلى ما وراء عالم الطبيعة والمادة, حتى لو كان عالم المادة مقدّمة وتمهيداً وصراطاً إلى تلك الأهداف السامية.

إنه لا خيار أمامكم سوى عبور هذا الصراط، ولكن لا يجدر بكم التوقّف عليه, وإنّ الأهداف لابدّ وأن تمتد إلى ما وراء هذا العالم، وإننا ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا إلى بلوغ هذه الأهداف.

---

[3] سورة غافر، الآية: 60.

أيها الأعزاء، إنّ بلدنا هذا يتميّز بالإمكانيات الوافرة والآفاق المستضيئة ــ كما أوضح السيد رئيس الجمهورية في حديثه ــ ولكن ثمّة مشاكل عديدة أيضاً، فينبغي الاستفادة من تلك الإمكانيات وتخطّي هذه العقبات.

وفي مثل هذه الظروف، فإن الوحدة والتعاطف لمن أكثر الأمور أهمية باعتقادي في عالم علاقاتنا الإنسانية؛ فلنبتعد عن تلويث الأجواء، ولو وفّق الله سبحانه وتعالى المسؤولين إلى العمل معاً في تآلف وتعاطف, لاستطعنا التغلّب على الكثير من المعضلات, وإنّ العمل معاً في تآلف لا يعني بالضرورة تشابه الأفكار، فلربما اختلفت الأذواق، ولكن ليس من منطلق النزاع والخصام والعداء.

إنّ ثورتنا ونظامنا الإسلامي لمن العوامل المساعدة على تنقية الأجواء الداخلية ومجالات العمل في البلد، فلنغتنم هذه الفرصة السانحة قدر الإمكان.

إنّ هناك محاولات تبذل لإظهار القضايا الجانبية على أنها قضايا أساسية, وإظهار المطالب غير الحقيقية ــ أو الحقيقية ولكنها من الدرجة الثانية ــ على أنها قضايانا الوطنية الأصيلة, سوى أنّ هذه الأمور لا تمثّل القضية الأولى لهذا الشعب، بل إنّ قضيته الأولى هي تمهيد السبل لتقوية النظام، وإصلاح الأمور والأساليب، والتغلّب على المعضلات، وتوضيح الأهداف والآمال للجماهير، والاستفادة من طاقة الإبداع العظيمة وحركة وإرادة وتطلّعات وإيمان هذا الشعب المؤمن، وشقّ الطريق صوب الأهداف السامية لهذا النظام, والتي بها تتحقّق السعادة للجميع.

وبالطبع فإن هناك الكثير مما يجب إنجازه، ونحن جميعاً نتحمّل الكثير من الواجبات والمسؤوليات، فعلى كل منّا أن يؤدّي واجبه على أفضل وجه ممكن.

ما هي الإصلاحات؟

إنّ الذي بدا لي أن أتحدّث فيه اليوم هو: كيفية التغلّب على العيوب والنقائص, والقضاء على مظاهر الفساد، أو بالمعنى الصحيح للكلمة، تحقيق الإصلاح في البلاد.

فهذا هو السؤال المهم الذي يستحق أن يشغل أذهان المهتمين بمصير هذه البلاد وهذا الشعب.

إنّ قضية الإصلاحات اليوم هي موضوع الساعة في هذا البلد، وهناك الكثيرون ممن يتحدّثون حول الإصلاحات ويعملون على تحقيقها.

فما هي هذه الإصلاحات؟ وما هو السبيل لتحقيقها؟ وما هي أولوياتها؟ فهذه كلها قضايا فائقة الأهمية.

وأمّا القضية الأُخرى ذات الأهمية في هذا المجال فهي: ما هو الذي يصبو إليه العدو من خلال دعاياته التي يرفع فيها شعار الإصلاحات؟ إنّ الإصلاحات من القضايا التي تخصّ الشعب، فما هو السبب في تركيز وسائل الإعلام العالمية على قضية الإصلاحات في إيران كما تلاحظون؟ إنّ هذه الدعايات تبثّها مراكز لا يمكن لها الزعم بأنها تريد الخير للشعب الإيراني.

فهل يعود السبب في وجود الفساد وحالة الكبت وخراب الأوضاع في هذا البلد إلاّ إلى تسلّط ونفوذ قوى الاستكبار الانجليزي في المرحلة الأولى والأمريكي في المرحلة التالية؟ وهل يوجد سبب آخر غير ذلك؟ وإلا فما هي القوى التي أوجدت الكبت في هذا البلد؟ وما هي القوى التي أقامت الأجهزة الوطنية والحكومية في هذا البلد على أساس الفساد؟ وما هي القوى التي كافحت الأخلاق العامة والإنسانية على مدى خمسين عاماً؟ وما هي اليد التي أوصلت رضا خان إلى سدّة الحكم؟ وما هي العناصر التي نفّذت انقلاب 28 مرداد؟[4] ومن هو الذي قام بأسوأ حركة دعائية على مدى أكثر من خمسين عاماً؛ لجعل الجماهير تنقاد نحو الفساد والانحلال والتنكّر للمبادئ الأخلاقية والدينية؟ إنّ شبابنا اليوم لا يتذكّرون شيئاً عن صحافة العهد البهلوي، ولكنكم أنتم مازلتم تتذكّرون.

فمن الذي كان يشجّع تلك الصحف الفاسدة، أو الملونّة، على حد تعبير أحد المثقّفين المسلمين المعروفين؟ ومن الذي كان يموّلها ويعضدها؟ وبمن كانت تقتدي وتتأسّى؟ فهل هناك سوى تلك الأجهزة السلطوية التي جاءت بالنظام البائد وظلّت تدعمه بكل وجودها؟!

وهل لدينا اليوم ما يجعلنا نعارض اسم ورسم السلطة الأمريكية بكل ما نملك من وجود, سوى أنّ ذلك النظام الغابر أكبّ على بعثرة وتضييع كافة مصادرنا الإنسانية

---

[4] انقلاب الثامن والعشرين من مرداد (19 أغسطس آب 1953) الذي دبرته المخابرات الأمريكية (CIA) بالتعاون مع البريطانيين وأتباع الملكية ضد حكومة الدكتور مصدق الوطنية وإرجاع الشاه إلى السلطة.

والمادية والأخلاقية والكفائية على طول خمسين عاماً؟ فما الذي حقّقه النظام البهلـــوي لإيران طوال هذه الأعوام الخمسين؟ وكم نحتاج من الجهود والوقت لإصلاح ما أوجدوه من خراب، وكيف؟ فمن الذي مهّد لكل ذلك؟ ومن الذي قدّم الدعم والمساندة؟ ومن الذي خطّط لذلك النظام؟ ومن الذي قام بتقوية جهازه التجسّسي؟ ومن الذي أعطاه الخط؟ ومع ذلك، فإن حكومة أمريكا وانجلترا ورؤساءهما وما هنالك من سياسيين ومراكز إعلامية هم أنفسهم الذين يدعمون ويساندون اليوم ما يسمّى بالإصلاحات والحرية في إيـــران! وهذا هو ما يدفع كل عاقل إلى إعمال فكره، ويحثّ كل غافل على اليقظة والانتباه.

فما هي القضية؟ إنه لحديث في غاية الأهمية، وسؤال في منتهى الموضوعية.

مشروع أمريكي لإسقاط النظام الإسلامي

إنني، وبصفتي قد عاصرت الكثير من الأحداث والقضايا في الميادين المختلفة لهـــذا النظام منذ بداية الثورة وحتى الآن، وأعرف طبيعة الأشخاص وفحوى الكلام، وعلـــى دراية باتجاهات الإعلام العالمي، قد توصّلت إلى استنتاج عام وهو: أن ثمّة مشـــروعاً أمريكياً شاملاً لإسقاط نظام الجمهورية الإسلامية، وهو مشروع مـــدروس مـــن كـــل الجهات، وقد أُعدّ على غرار ذلك المشروع الذي استخدم لإسقاط الإتحـــاد الســـوفيتي، ويصبو العدو إلى تنفيذه ثانية في إيران.

وإنني لو أردت استعراض قرائن وشواهد هذا المضمون، فكلها ماثلة في ذهني، ولا يحتاج الأمر إلى تقصّي دلائله؛ لأن هناك العديد من الشواهد الواضحة في تصريحاتهم.

وإنّ صحة هذا الادعاء تبدو واضحة تماماً من خلال تصـــريحاتهم المنطويـــة علـــى الغرور والاستعلاء طوال الأعوام الأخيرة, والتي يصفون ــ هم أنفسهم ــ بعضها بأنها كانت متعجّلة.

وهذه التصريحات التي تبدو محسوبة أحياناً تشير إلى أنهم قد أعدّوا مشروعاً كالـــذي نفّذوه لإسقاط الإتحاد السوفيتي السابق, ولكن بالشكل الذي يتناسب مع طبيعة الأوضاع في إيران، لإسقاط هذا النظام بزعمهم، ولكنهم قد ارتكبوا العديد من الأخطاء، وهذا من الألطاف الإلهية.

إنّ أعداءنا يرتكبون الأخطاء في حساباتهم في المواقف الحساسة, وهذه الأخطاء ليس بمقدورهم إصلاحها حتى لو تحدّثت عنها؛ لأنها أخطاء في إدراك الحقائق، وهم يخطّطون انطلاقاً من هذه الأخطاء فتأتي خططهم خاطئة، ويتعرّضون للفشل.

لقد كانوا قد أعدّوا الخطط لمساندة النظام البهلوي، ووقفوا خلفه بكل قواهم، سوى أنهم أخطأوا في التعرّف على قضايا إيران، والتعرف على شعب إيران، والتعرّف على علماء الدين، والتعرّف على الدين، فكان نصيبهم الفشل، وحتى الآن أيضاً فلن يكون مصيرهم سوى الفشل والهزيمة.

لقد تعرّضوا للعديد من الأخطاء.

وأولها: أنّ السيد خاتمي ليس كالسيد غورباتشوف[5].

وثانيها هو: أنّ الإسلام ليس كالشيوعية.

وثالثها: أنّ النظام الشعبي في الجمهورية الإسلامية ليس كالنظام الدكتاتوري البروليتاري[6].

ورابعها هو: أنّ إيران المكوّنة من نسيج واحد ليست كالإتحاد السوفيتي الذي كان يمثّل عدداً من البلدان التي وصّلوا بعضها ببعض بالدبوس.

وأما خامسها فهو: أنّ الدور الذي لا بديل له للقيادة الدينية والمعنوية في إيران ليس أمراً من قبيل المزاح؛ ولسوف أوضّح كل هذه الأخطاء بالتفصيل فيما بعد.

المشروع الأمريكي لإسقاط الاتحاد السوفيتي

ولكن دعوني الآن أشير إلى المشروع الأمريكي لإسقاط الإتحاد السوفيتي.

---

[5] ميخائيل سيرغيفيتش غرباتشوف ولد عام 1931م، شغل منصب رئيس الدولة في الإتحاد السوفييتي السابق بين عامي 1988 و 1991م.

[6] البروليتاريا: هو مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر ضمن كتاب بيان الحزب الشيوعي لكارل ماركس وفريدريك أنجلز الذي يعني به الطبقات الفقيرة والكادحة.. عكسه البورجوازية ومعناها الطبقة الغنية والحاكمة.

وإنّ ما يدور الآن في ذهني هو لبّ مذكّراتي اليومية التي سجّلتها عام 1370هـ.ش (1991م) حول أحداث الإتحاد السوفيتي.

ولقد أضفت إلى هذه المذكّرات فيما بعد الكثير من المعلومات التي جمعها ونظّمها أصدقاؤنا عن مصادر مهمة روسية وغير روسية، وهو ما لا أريد الخوض فيه الآن، سوى أنها كانت أحداثاً خطيرة.

وعندما أقول "المشروع الأمريكي لإسقاط الإتحاد السوفيتي" فلابدّ وأن أضيف إلى هذا الاسم نقاطاً ثلاثاً:

الأولى: هي أنه عندما أقول "مشروع أمريكي"، فلا يعني هذا أنّ سائر الكتلة الغربية لم تتعاون مع أمريكا بهذا الصدد؛ وذلك لأنّ كافة الدول الغربية والأوربية قد تعاونت مع أمريكا في هذا المجال بكل ما لديها من طاقة.

فمثلاً دور ألمانيا وانجلترا وبعض الدول الأخرى كان بارزاً في هذا الأمر، حيث تعاون هؤلاء بشكل جدّي مع أمريكا.

والثانية: هي أنه عندما نقول "مشروع أمريكي"، فلا يعني هذا أننا نتجاهل العوامل الداخلية لسقوط الإتحاد السوفيتي.

كلا، فلقد كانت عوامل السقوط ماثلة في النظام السوفيتي، ولقد استغلّ أعداؤه هذه العوامل على أفضل وجه.

فما هي تلك العوامل؟ إنها الفقر الاقتصادي المدقع، وممارسة الضغوط على الجماهير، والكبت القاتل، والفساد الإداري، والبيروقراطية، علاوة على العوامل القومية والوطنية التي برزت في الأثناء.

وأما الثالثة: فهي أنّ هذا المشروع الأمريكي أو الغربي ــ أيّاً كان الاسم ــ لم يكن مشروعاً عسكرياً، بل كان إعلامياً بالدرجة الأولى, وتمّ تنفيذه أساساً عن طريق اللافتات واليافطات والصحف والأفلام وسواها, والذي يدقّق في هذا الموضوع سيلاحظ أن خمسين أو ستين بالمئة من المشروع قد نُفّذ نتيجة لوسائل الإعلام والأساليب الثقافية, فليكن اهتمامكم كبيراً أيها الأعزاء بموضوع الغزو الثقافي الذي أثرته قبل سبع أو ثماني

سنوات، فالهجمة الثقافية ليست مزاحاً, ومن ثم كان العامل السياسي والاقتصادي بالدرجة الثانية بعد العامل الإعلامي والدعائي، وأمّا العامل العسكري فلا أثر له مطلقاً.

ولكن ما هو ذلك المشروع؟ إنّ غورباتشوف عندما تسلّم مقاليد السلطة عام 1985م كان من العناصر الشابّة إذا قورن بأي سكرتير عام عجوز سبقه، كما كان مثقّفاً وحسن السلوك، وكان الشعار الذي طرحه هو البروستريكا بالدرجة الأولى والغلاسنوست بالدرجة الثانية.

والبروستريكا تعني: إعادة البناء والإصلاحات الاقتصادية، وأما الغلاسنوست فتعني: الإصلاحات في الميادين الاجتماعية، وحرية التعبير، وما إلى ذلك.

ولقد غمروا غورباتشوف في العام الأول والثاني بالإبداعات الإعلامية من أحاديث وتحليلات وإطراءات وتوجيهات واقتراحات, حتى وصل الأمر إلى أنّ المراكز الأمريكية قدّمته على أنه رجل العام! وكان هذا في مرحلة الحرب الباردة، أي عندما كان الأمريكيون يجهضون أية محاولة للنجاح في الإتحاد السوفيتي! فقبل غورباتشوف كانوا يتنكّرون بشدّة لكل ما قد يحدث في الاتحاد السوفيتي من خطوات موفّقة, ويشنّون عليها الهجمات الإعلامية الشرسة، ولكن الحال تغيّر فجأة مع غورباتشوف! ولقد كان هذا الترحاب الغربي الشديد المنطوي على التشجيع هو الخدعة التي انطلت على غورباتشوف! إنني لا أستطيع الزعم بأن أجهزة الاستخبارات الغربية أو الأمريكية هي التي جاءت بغورباتشوف إلى سدّة الحكم ــ كما يدّعي البعض في أنحاء العالم ــ لأنني حقيقة لا أملك أدلّة على ذلك، ولم يطرق سمعي أيضاً خبر من وراء الستار، ولكن الشيء المسلّم به هو أنّ الترحاب والانبساط والرضا والاحترام والتبجيل والتشجيع والتقدير من قِبَل الغربيين هو الذي خدع غورباتشوف.

لقد منح ثقته للغربيين والأمريكيين، ولكنه وقع في شباك الخديعة.

وإنّ المرء ليلاحظ آثار هذه الخديعة في الكتاب الذي أصدره غورباتشوف تحت عنوان (البروستريكا ــ الثورة الثانية).

لقد كانت هذه الشعارات مدويّة في ذلك اليوم الذي كانت أجواء الكبت فيه تخيّم على الاتحاد السوفيتي.

وإنني كتبت في مذكّراتي لعام 1369 أو 1370هـ ش [1991م] أنّ غورباتشوف رفع تصريح التنقّل من مدينة إلى أخرى في الاتحاد السوفيتي! أي أنه وبعد ثلاثة وسبعين عاماً من قيام الاتحاد السوفيتي، وبعد انتهاء فترة حكم ستالين[7] التي استغرقت ثلاثين عاماً، ومدّة سلطة بريجنيف[8] التي امتدت على مدى ثمانية عشر أو تسعة عشر عاماً، كان ما أنجزه السيد غورباتشوف ضمن ما أنجز على صعيد الغلاسنوست[9] هو رفع لتصريح التنقّل!

وفي مثل هذه الأجواء يمكنكم إدراك ما تتضمّنه فكرة ومشروع قضية حرية الرأي من معنى.

وكم أنه مدهش ومذهل بالنسبة للجماهير أن يقول: حرية التعبير! ففي خلال كل تلك الفترة لم يكن هناك في الاتحاد السوفيتي سوى صحيفة واحدة مهمّة وهي صحيفة برافدا, والتي كانت صحيفة عامة، كما لم يكن هناك سوى صحيفة واحدة تتعلّق بالشباب, إضافة إلى بعض المطبوعات المتخصّصة، وأمّا تعدّد الصحف وإصدار الكتب ذات المحتوى المثير للاهتمام فلم يكن له وجود على الإطلاق, وعندما قام أحد الكتّاب بنقد بعض أصول الاشتراكية ــ وليس كلها ــ فإنه ظل ممنوعاً من الخروج من الاتحاد السوفيتي لمدة طويلة.

وبالطبع فإن الأمريكيين روّجوا كثيراً في إعلامهم لصالحه وظلّوا طويلاً يتحدّثون عنه، حيث مازلت أتذكّر هذا الموضوع منذ مرحلة ما قبل الثورة.

وفي أجواء كهذه جاء غورباتشوف وأطلق شعاره المثير، سوى أنه ارتكب أخطاءً لا أبغي الحديث عنها الآن، ولسوف يتّضح بعضها في مطاوي هذا الخطاب, وخلال مدّة قصيرة عمّت الدعايات الغربية والعادات والمثل الغربية الاتحاد السوفيتي، ومنها موديلات الملابس، ومكدونالد، وسوى ذلك من التقاليد التي كانت في الحقيقة بعضاً من

---

[7] جوزيف فيساريونوفيتش ستالين (1878 ــ 1953م) القائد الثاني للاتحاد السوفييتي. ويعتبر المؤسس الحقيقي للاتحاد السوفيتي ترأس السلطة (1929 ــ 1953م).

[8] ليونيد إيليتش بريجينيف (1906 ــ 1982) رئيساً لمجلس السوفييت الأعلى (رئيس الدولة) مرتين، بين العامين1960 و1964 وبين العامين 1977 و1982. ترأس الإتحاد كخليفة ليخورتشوف.

[9] الغلاسنوست:مصطلح طرحه ميخائيل غورباتشوف في الأيام الأخيرة من حياة الاتحاد السوفييتي معناه: المكاشفة والصراحة والعلنية والمشارك بأية فعالية سياسية أو عملية اجتماعية أو آراء فكرية...

الرموز الأمريكية, ولا تحسبوا أنّ هذه أفكار لطالب حوزوي منعزل، ففي تلك الأيـــام قرأت في المجلات الأمريكية ــ كالتايم والنيوزيك ــ بأن انتشار مقاهي مكدونالد فـــي موسكو يُذكر على أنه خبر مهم, ويُحلّل على أنه طليعة ذيوع الثقافة الغربية والأمريكية في الاتحاد السوفيتي!

لقد ظلت شعارات غورباتشوف في الذروة لمدّة عام أو عامين، ثم ما لبث أن ظهـــر بجواره شخص آخر يسمّى يلتسين.

وكان دور يلتسين[10] دوراً مصيرياً، حيث كان عليه التأكيـــد بإصـــرار بـــأن هـــذه الشعارات لا جدوى منها، وأنّ هذه ليست سوى قفزة قصيرة، وأنّ الوقت بات متأخّراً، وأنّ الإصلاحات لم يُكتب لها التقدّم.

ولو كان هناك شخص عاقل ومدبّر في مكان غورباتشوف لاستطاع أن يروّج لهـــذه الإصلاحات لمدّة عشرين عاماً ــ كما حدث في الصين ــ، ولكن هذا المقـــدار ســـلب غورباتشوف أناته وتمهّله، وتفاقمت الأمور لدرجة عزل غورباتشوف لمعاونه يلتسين، ولكن وسائل الإعلام الأمريكية والغربية صعّدت من دعمها له, فضلاً عن عدم إقصائه!

وظلت وسائل الإعلام الغربية والأمريكية لمدّة عام أو أكثر تظهر يلتسين علـــى أنـــه شخصية بارزة متنوّرة وإصلاحية مظلومة ومغضوب عليهـــا, إلـــى أن حـــان وقـــت الانتخابات الرئاسية في روسيا، وكما تعلمون فإن الجمهوريين نادوا بانتخابات مستقلة، وهو ما لم يحدث؛ فلقد كان أحد إنجازات غورباتشوف هو ضرورة إجراء الانتخابات، حيث لم تجر انتخابات مطلقاً في الاتحاد السوفيتي بعد سقوط الحاكم القيصري, وأما في الحقبة القيصرية فقد كانت الانتخابات شبيهة بانتخابات عهد الشاه في إيران, حتـــى إنّ المشروطية عندهم تزامنت مع المشروطية في إيران, ولكن بفارق عام واحد.

ففي عهد الحكم القيصري كان المجلس الوطني (الدوما) مجلســـاً صـــورياً كمجلـــس الشورى الوطني عندنا في زمن النظام البهلوي, حتى إذا جاء الشيوعيون فقد انتهى كل شيء، فلا مجلس، ولا انتخابات! والآن وبعد انقضاء ثلاثة وسبعين عاماً تقرّر إجـــراء انتخابات رئاسية في روسيا، وليس في كافة الإتحاد السوفيتي.

---

[10] بوريس نيكوليفتش يلتسن (1931 ــ 2007م) شغل منصب رئيس الفدرالية الروسية. وكان أول رئيس للإتحاد الروسي من 1991 إلى 1999.

فمن هو المرشّح؟ إنه السيد يلتسين! وبحصول يلتسين ــ أي ذلك العنصر الإصلاحي ــ على غالبية الأصوات، فإنه أصبح رئيساً للجمهورية.

ومن هنا تبدأ القصة الظريفة؛ فمنذ أن تسلّم يلتسين مقاليد الرئاسة في يونيو 1991م وحتى الإعلان الرسمي عن سقوط الإتحاد السوفيتي لم يستغرق الأمر سوى نحو سبعة أشهر، أي أنّ كل تلك السنوات لم تكن سوى مقدّمات للإنهيار.

وقد حدثت بعض هذه المقدّمات على يدي غورباتشوف، حتى إذا انتهى دوره، اضطلع يلتسين بما تبقى منها، فحقق المشروع الأمريكي قفزته المرجوّة لدى وصول يلتسين إلى السلطة, فبعد أخذ يلتسين بزمام الرئاسة في روسيا، وبعد أن بات الرجل الثاني في الاتحاد السوفيتي، فإن الإبداع تحقّق على يديه.

فبمجرّد أن أصبح رئيساً في يوم 1370/3/24هـ.ش، وبعد ذلك بثلاثة أيام، أي في يوم 1370/3/26هـ.ش، قام الرئيس الأمريكي جورج بوش وأعلن أن جمهوريات منطقة البلطيق الثلاث ــ أي لتونيا واستونيا وليتوانيا ــ لا تتعلق بالاتحاد السوفيتي، وأنّ عليه أن يمنحها الاستقلال ويعترف رسمياً باستقلالها، وإلا فإنّ أمريكا ستوقف مساعداتها التي كانت مقرّرة.

وإنني لا أتذكّر الآن هل كانت أمريكا وعدت بهذه المساعدات في عهد رونالد ريغان[11] أو في زمن بوش[12]، ولكنها كانت قد وعدت بها السيد غورباتشوف على كل حال, ولم يكد يمضي سوى زمن يسير حتى أعلن يلتسين عن الاعتراف الرسمي باستقلال الجمهوريات الثلاث! وبعد ذلك بشهرين، ولكي يزداد تألّق شخصية يلتسين، فقد وقع الانقلاب المعروف في الاتحاد السوفيتي والذي كان يبدو غامضاً تماماً في ذلك الوقت.

---

[11] رونالد ويلسون ريجان (6 فبراير 1911 – 5 يونيو 2004)، الرئيس الولايات المتحدة الأمريكية من عام 1981 إلى 1989. كان يعمل بمجال التمثيل قبل أن يدخل المجال السياسي الذي بدأه في بداية الخمسينيات.

[12] جورج هربرت واكر بوش: رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الواحد والأربعون من عام 1989 إلى عام 1993. عمل قبل ذلك كمدير لوكالة المخابرات المركزية وكنائب للرئيس الأمريكي رونالد ريجان، وكان قد بدأ حياته السياسية في مجلس الشيوخ عام 1966.

وعندئذ نشطت التلفزة الأمريكية ــ سي أن أن وسواها ــ في موسكو، وسلّطت أضواءها على يلتسين، حتى إنّ شبكة التلفزة عندنا، وعندما كانت تبث التقرير المصوّر لشبكة سي أن أن، فإننا شاهدنا يلتسين وهو يقطع الشوارع على دبابة ويطلق الشعارات بين الجماهير ويقول: كلا، إننا لن نستسلم للانقلابيين! ثم توجّه إلى البرلمان، ولكن الإنقلابيين لم يمسّوا يلتسين بسوء, وهو الذي كان في متناول أيديهم عندما تحصّن بالمجلس الوطني (الدوما) ولم يمسكوا به، بل توجّهوا إلى غورباتشوف الذي كان يقضي عطلته في شبه جزيرة القرم، واعتقلوه! وظل يلتسين أيضاً يطلق التصريحات ويرفع الشعارات! فأقاموا ضجّة إعلامية في كل العالم، ولكن دون أثر ملموس للحقيقة! وظهر عدد من الدبابات وهي تتجوّل في شوارع موسكو، ولكنها اختفت بعد ثلاثة أيام، ثم ما لبثوا أن أعلنوا بأنهم قبضوا على المتمرّدين نيام! وانقشع غبار الانقلاب عن يلتسين وقد أصبح الرجل الأول بعد أن كان الرجل الثاني! وفي تلك الأيام قام وزير خارجيتنا بزيارة لجمهوريات آسيا الوسطى، فسألته عن الأخبار لدى عودته، فقال: إنه من الواضح أنّ رئيس الجمهورية هو يلتسين وليس غورباتشوف! وكانت الأمور جليّة على ما هي عليه أمام أنظار العالم.

ثم أخذت الجمهوريات تطالب باستقلالها الواحدة تلو الأخرى؛ فمثلاً زعمت أوكرانيا أنها تطالب بالاستقلال، فعارض غورباتشوف ووافق يلتسين، ثم ما لبث أن وافق غورباتشوف مرغماً بعد يومين أو ثلاثة! وعلى هذا الأساس فإن تلك الخطّة قد دبّرت؛ ليجد غورباتشوف نفسه مضطراً للتقدم ورفع نفس هذه الشعارات حتى لا يتأخّر عن الركب، أو مرغماً على التبعية بعد أيام قليلة، حيث إن ضغوط الإعلام العالمي لم تكن تفسح مجالاً إلاّ لِما يقوله يلتسين دون سواه.

واستمرت الأمور على هذا المنوال منذ أواخر شهر يونيو، فجاء اقتراح إقالة غورباتشوف من الأمانة العامة للحزب الذي تبعه اقتراح حلّ الحزب الشيوعي، ثم الإعلان عن هزيمة الشيوعية ــ وهو ما أثلج صدور الأمريكيين كثيراً ــ، وأخيراً انتشرت إشاعة استقالة غورباتشوف.

وفي مقابلة أجريت مع غورباتشوف في ذلك الوقت سُئل: هل ستقدم استقالتك أو لا؟ فأجاب: إنني بانتظار مجيء وزير الخارجية الأمريكي إلى موسكو لأرى ماذا سيحدث! ووصل وزير الخارجية الأمريكي إلى موسكو، لكنه التقى يلتسين قبل الاتّصال بغورباتشوف، وذلك في الكرملين ــ حيث تتم اللقاءات الرسمية ــ مما يعني أن أمر

غورباتشوف قد انتهى! وبعد ذلك بثلاثة أيام قدّم غورباتشوف استقالته، وجاء الإعلان عن إنهيار الاتحاد السوفيتي! وكان هذا هو مشروع أمريكا الناجح في الاتحاد السوفيتي، أي أنهم استطاعوا عن طريق خطّة ذكية تماماً، وبإنفاق بعض الأموال، وتجنيد بعض العناصر، وباستخدام وسائل الإعلام، أن يسقطوا قوّة كبرى ويقضوا عليها نهائياً في خلال ثلاث أو أربع سنوات, تكلّلت بالثمار المرجوّة خلال ستة أو سبعة أشهر!

وبودّي أن أقول لكم هنا: بأنّ روسيا، وبعد سقوط الإتحاد السوفيتي لم تتحوّل إلى برازيل ثانية كما كانوا يريدون؛ فلقد كانوا يطمعون في تحويل روسيا لتصبح كالبرازيل، أي دولة من دول العالم الثالث ذات كفاءة إنتاجية عالية, ولكنها تعاني من الفقر الشديد, وليس لها دور في السياسية العالمية.

فهل هناك في العالم من يسمع بالبرازيل من حيث الموقف والرأي والحضور في الساحة الدولية؟ لقد كانوا يريدون أن تصبح روسيا هكذا، وهو ما لم يحدث، فلماذا؟ لأن في روسيا شعباً قويّاً وعريقاً ومتماسكاً، فضلاً عن التقدّم الصناعي والنووي والعلمي والفكري وسوى ذلك من الإمكانيات المثيرة للاهتمام, وإنّ الذين انهمكوا في صياغة مثل هذه المشاريع كانوا يحلمون بأن يحدث مثل هذا الشيء في الجمهورية الإسلامية.

إنهم يتصوّرون بأن الجمهورية الإسلامية ستصبح مثل روسيا اليوم إذا ما لاقت نفس المصير.

كلا, ويفكرون بأن إيران ستعود إلى ما كانت عليه في العهد البهلوي، أي في الدرجة العاشرة بعد تركيا! وذلك لأنهم يعتقدون بأنه مادمنا لا نمتلك الطاقة النووية فلن نحقق التقدّم العلمي المطلوب، علاوة على أنّ عدد سكاننا لا يبلغ ثلاثمائة مليون، ولسنا من طراز روسيا من حيث المساحة، حيث مازالت من أكبر دول العالم حتى الآن.

نقاط الاختلاف بين إيران والاتحاد السوفيتي

ولكن ما هي الحقيقة الآن؟ إنّ الحقيقة تجافي ما خططوا له, بقدر ابتعاد السماء عن الأرض! لقد ارتكبوا خطأً فاحشاً، وإنني في الواقع أشعر بالمرارة من مقارنة السيد خاتمي العزيز مع غورباتشوف ــ وهو السيد المؤمن سليل الشرفاء والعاشق للعلوم الدينية والمحب للإمام, والذي هو مثلنا من طلبة العلوم الدينية ــ كما فعل الغربيون.

فلقد عقدوا هذه المقارنة وقالوا بصراحة: بأن شخصاً شبيهاً بغورباتشوف وصل إلى السلطة في إيران, ولا ننسى طبعاً أنّ البعض هنا في الداخل شعروا بالغبطة من ذلك ــ وللأسف ــ ولم يفهموا هذه الإهانة، كما لم يدركوا ما تستتبعه من مؤامرة من حيث المبدأ! إنه لا شأن لنا بالمغرضين ولا بالذين يتابعون الأحداث ويعلمون بما يجري وماذا يريدون أن يفعلوا، ولكن بعضاً من غير المغرضين أيضاً لم يفهموا ماذا يحدث ولا ما الذي يزمع عليه العدو.

فلنعد إلى نقاط الاختلاف: النقطة الأولى هي: الفرق بين رئيس جمهوريتنا والسيد غورباتشوف؛ لقد كان غورباتشوف متنوّراً، وربما لم يكن يؤمن كثيراً بأصول ومبادئ الشيوعية، ولم يكن على وفاق أبداً مع هيكلية الاتحاد السوفيتي، ولقد عبّر هو بنفسه عن ذلك بأساليب مختلفة.

وبالطبع فإنه لم يكن بمقدوره أن يعلن ذلك بصراحة كبيرة عندما أخذ بزمام الحكم، إلاّ أنه كان يصرّح بذلك بالقدر الميسور, وأما رئيس جمهوريتنا فالجمهورية الإسلامية هي دينه ومعتقده، والإمام هو مراده وأسوته، وهو رجل دين.

لقد كانوا يتحدّثون في البداية من وحي خيالهم، ومازال سياسيّوهم وأشرافهم يتحدّثون بنفس ذلك الأسلوب، ولكن بعضاً منهم ساوره الهلع في العامين الأخيرين، وقالوا في وسائل إعلامهم: كلا، إنه مثلهم، وإنه واحد من هؤلاء الأصوليين! وهذا هو الشيء الذي فهموه على حقيقته! كما أنّ غورباتشوف لم يكن مؤمناً بأصول الماركسية، وكان متولّهاً بالغرب، وكان يردد كلام الغربيين ولكن باللغة الروسية، وإلا فشعاراته لم تكن تختلف عن شعاراتهم، وكان من مريديهم! وثمّة أيضاً بعض الأشياء المنمّقة جداً كالزيارات والوعود الكاذبة والفارغة، وسوى ذلك مما لا مجال له في هذا الحديث والذي بوسعكم استنتاجه بأنفسكم.

وأما الفرق الثاني فهو: أنّ الإسلام غير الماركسية، فالشعب السوفيتي لم يكن على وفاق مع الشيوعية, وإن كانت دين الحزب الشيوعي.

وكان الحزب الشيوعي السوفيتي مؤلّفاً من بضعة ملايين فقط، ربما تصل إلى عشرة أو خمسة عشر مليوناً، من أصل جميع السكان البالغ عددهم نحو ثلاثمائة مليون, كما كان أعضاء الحزب الشيوعي يتمتعون دائماً بامتيازات خاصة، وهو ما يجعلنا نخمّن بأنّ الحصول على هذه الامتيازات كان هو الهدف الأول لهؤلاء الأعضاء، ولهذا لم تكن

الشيوعية تمثّل ديناً لهم, وأما الإسلام فهو دين شعبنا ومُناه وإيمانه، والإسلام هو الـذي من أجله دفع هذا الشعب العظيم بأعزائه وأبنائه إلى ساحات القتال, حتـى إذا عـادوا أجساداً مخضّبة بالدماء، فإنه لم يذرف عليهم الدموع، بل توجه بالشكر إلى الله تعـالى! فهل رأيتم مثل هؤلاء الآباء والأمهات؟! لقد شاهد كل واحد منّـا المئـات مـن هـذه الحالات، حيث شاهدت أنا بنفسي الآلاف منها عن قرب.

واليوم وعندما يأتي إلينا آباء وأمهات ضحّوا بأربعة شهداء من أبنائهم، فإنهم حتـى وإن اشتكوا من بعض المشاكل، فإنهم يشعرون بالحبور والرضا للتضحية بأبنائهم فـي سبيل الإسلام! إنّ هذا الشعب ذائب في الإسلام بكل وجوده، فبعد خمسين عامـاً مـن محاولات ضرب الدين اصطفّ منتظماً خلف إمامه العظيم ومرجعه الديني وأقام بعظمةٍ هذا النظام الإسلامي.

إنّ الإسلام هو ذلك الدين الذي إذا علا اسمه ورفرفت رايته في سماء إيـران، فـإن المسلمين الواعين أحسّوا بهويتهم وشخصيتهم وكرامتهـم حيثما كانوا في شتّـى أنحاء العـالم, ثمّ جاء هؤلاء ليقـارنوا بين الإسلام والماركسية! فـ "الحمد لله الـذي جعـل أعداءنا من الحمقى"!

وأما الفرق الثالث فهو: أنّ النظام الإسلامي ليس نظاماً شيوعياً، بل هو نظام إسلامي ويتمتع بالشباب والحيوية والمرونة والسعي الدؤوب والشعبية.

لقد كنت أقول للسيد خاتمي في ذلك اليوم: بأن أي نظام في العالم ــ حتى في الغرب الديمقراطي، أو في أمريكا، أو في فرنسا، أو في بلدان أخرى ــ لا يتمتع بالشعبية كما عندنا؛ وذلك لأنه في الديمقراطيات الغربية يتوجّه البعض إلى صناديق الاقتـراع ثـم يصوّتون لصالح الشخص الذي رشّحه الحزب مثلاً، حتى إذا أدلى المـواطن بصـوته انتهى كل شيء! ثم إن الذين تشملهم شروط التصويت يمثّلون غالباً نسـبة 73% مـن مجموع المواطنين.

فمثلاً لم يتجاوز هذا العدد 73% في الانتخابات الأمريكية الأخيرة, ولم يصـل عـدد المشاركين في الانتخابات إلى ستين أو سبعين بالمئة أبداً كما حدث هنا فـي انتخابـات رئاسة الجمهورية, أو انتخابات المجلس في دورته الخامسة أو السادسة.

وباختصار فإن كل الذين يشاركون في الانتخابات هناك يدلون بأصواتهم ثم يـذهبون وانتهى الأمر, وأما هنا فالوضع يختلف، حيث يحب الشعب المسؤولين وتربطهم أواصر عاطفية، وليست علاقات انتخابية فحسب، وعندما يتعرّض أحد المسؤولين هنا للمرض فإن الجميع يرفعون أيديهم بالدعاء طلباً لشفائه كما لو كان أحد أبنائهم! كما أنه إذا لوّح أحد المسؤولين بالإشارة فإن الجماهير تتدافع إلى ميادين الأخطار مضحّية بحياتها، وهذا مما لا أثر له عند الديمقراطيات الغربية، فما بالنا بنظام البروليتاريا الدكتاتوري! إنهـم يصرّحون بأنفسهم بأن الدكتاتورية أحد مبادئهم الضرورية، أي عدم الانتخابات! فعلـى طول أكثر من سبعين عاماً استغرقها النظام الشيوعي في الاتحـاد السـوفيتي وحتـى الانتخابات الروسية الأخيرة لم تجر أية انتخابات مطلقاً، بينما أجـري عنـدنا واحـد وعشرون انتخاباً خلال واحد وعشرين عاماً! فهل ثمّة مجال للمقارنة؟

إنّ حياة ممثلي البروليتاريا هناك هي حياة القصور وبذخ الكرملين، وأما هنـا فإننـا نجلس على بساط بكل فخر, كما أنّ المسؤولين هنا يسعون جاهدين باعتزاز للاقتـراب من حياة الجماهير.

وأما في النظام الشيوعي، وعندما كان ستالين متربّعاً على أريكة الحكم، فإنه لم يكـن هناك علاج آخر إلاّ بموته! فلقد ظل يحكم لمدة ثلاثين عاماً، حتى إذا وافته المنية إثـر حادث، أو بدون حادث، أو على أثر إدمان المشروبات الكحولية الروسية المعتّقة، جاء خَلَفُه خورتشوف، ثم بريجنيف الذي عاجلته المنية بعد ثمانية عشر أو تسعة عاماً، فخلفه شخص آخر! فهذا النظام يختلف عن نظام الجمهورية الإسلامية القائم على الانتخابـات وصوت الشعب وتجـرى فيه انتخابات برلمانية ورئاسية كل أربع سنوات.

وأما على مستوى القيادة: فنظامنا أسمى درجة ورتبة؛ لأن القيادة لدينا قيادة معنويـة وتترتّب عليها إلتزامات معنوية، ولا يتوقّع الخبراء أو الشعب من القائد أن تبدر عنـه حتى زلّة واحدة، وإلا فسيكون قد عُزل تلقائياً، كما أنّ كلامه لا يُعد حجة لا بالنسبة لـه ولا بالنسبة للشعب.

فهل يمكن مقارنة هذا النظام المرن والحيوي والفعّال والمتطوّر بنظام مغلق ومتزمّت, وتتمثّل فيه هشاشة الدكتاتورية البروليتارية؟!

النظام الإسلامي هو نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كما وأوّد أن أبدي ملاحظة أخرى، وهي: أنّ النظام الإسلامي هو نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب حتمي على الجميع، سوى أنّ مسؤوليتنا ــ أنا وأنتم ــ في باب الأمر والمعروف والنهي عن المنكر أكبر من الآخرين؛ نظراً لِما يقع على عاتقنا من واجبات ثقيلة, فينبغي علينا إستخدام الأساليب والوسائل المناسبة، ولكن على أبناء الشعب أن يتحمّلوا أيضاً ما عليهم من مسؤوليات, وإنّ أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يسقط ببضع مقالات في الصحف ولا تنتهي قيمته المؤثّرة.

فالنهوض والنضج والكمال والصلاح كلها من متعلّقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي التي تحافظ على النظام شاباً على الدوام.

والآن فإن نظامنا البالغ من عمره واحداً وعشرين ربيعاً مازال شاباً، وحتى إذا قورن بالنظام الشيوعي الهزيل والعجوز والبالغ أكثر من سبعين خريفاً، فإنه سيبدو شاباً بطبيعة الحال, ولكن حتى إذا مرّت مئة عام على وجود هذا النظام فسيظل واجب الأمر بالمعروف قائماً، واعلموا أنّ من واجبكم نهي أي شخص عن المنكر إذا رأيتم منه منكراً، وحينئذ يبقى هذا النظام الإسلامي أكثر رونقاً وطراوة وازدهاراً, ولا ينحصر المأمورون بالمعروف والمنهيون عن المنكر في طبقة العوام فحسب، بل ربما كانوا من الخواص أيضاً، فعليكم بأمرهم بالمعروف، وإيّاكم أن تتوجّهوا بالرجاء إلى شخص من النخبة، بل عليكم أن تنهوه قائلين: لا تفعل هذا الشيء, أو لا تقل هذا الكلام فهو غير صحيح.

فالحالة الإستعلائية لابدّ من تمثّلها في الأمر والنهي؛ ولا يعني هذا الإستعلاء بالضرورة أن يكون الآمر أو الناهي أرفع درجة من المأمور أو المنهي، كلا، فروح وقالب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنأى عن الرجاء والخضوع والتضرّع؛ فلا يمكن أن يقال: أرجوك أن لا تفعل هذا الشيء، بل يجب أن يقال: لا تفعل هذا الخطأ، لماذا تخطئ؟ فالجميع مخاطبون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لو كان الشخص أكثر أهميّة منّي، وإن كنت لست سوى طالب حوزوي صغير.

فشل الأعداء في إثارة النعرات القومية

وأما الخطأ التالي فيتعلّق بنظرتهم إلى هذا البلد.

إنّ إيران بلد منسجم، حتى إنكم لو تحسّستم مشاعر تلك الأجزاء التي انفصلت عن إيران في القرون السابقة فستجدونها تنبض بالرغبة في الانضمام إلينا "فكلّ يحنّ إلى أصله"، وهؤلاء أيضاً يحنّون إلى أصلهم؛ فأين إيران من الاتحاد السوفيتي! لقد وصلوا عشرة أو أحد عشر بلداً بعضها بالبعض الآخر بدبوس ــ أو بمعنى آخر بالسوط ــ ثم جعلوا منها ما يسمّى ببلد واحد! ومن الواضح أنهم إذا رفعوا عنها السوط فستنفصل، وقد انفصلت.

طبعاً ينبغي أن أقول هنا أيضاً: بأنهم يركّزون على موضوع القوميات في إيران؛ فالبعض يحاولون نفي العامل الحقيقي للوحدة ــ أي الإسلام والدين ــ عن طريق إثارة النعرات القومية.

إنّ الذين يتصوّرون أنّ اللغة الفارسية هي عامل الوحدة في هذا البلد لا يحبّون اللغة الفارسية, كما أحبّها أنا بالتأكيد، ولم ولن يقدّموا لها واحداً بالمئة مما قدّمته! فاللغة الفارسية ليست عامل الوحدة الوطنية في إيران، بل إنه الإسلام، ذلك الدين الذي تجسّد في الثورة والنظام الإسلامي، فكانت نتيجة ذلك أنّ المتحدّث بالتركية يقول "آذربيجان أياختي، أنقلابا داياختي" أي "آذربيجان قائمة، وللثورة داعمة" وهو ما يقوله الكردي بالكردية، والبلوشي بالبلوشية، والعربي بالعربية.

ولكن البعض يحاولون التقليل من أهمية العامل القويّ للتأليف بين قلوب أبناء الشعب الإيراني، وهو الإيمان بالإسلام؛ وهذا خطأ، فالبلد والشعب منسجمان، وصحيح إنّ هذا الانسجام يعود إلى التاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد والثقافة، ولكنّ مردّه أساساً إلى الدين وموضوع القيادة، وهو ما ألّف بين أجزاء هذا الشعب, وجعل الجميع يشعرون بالوحدة والانسجام.

كما أنّ ثمّة مسؤولية تقع على عاتق القيادة، وهي الحفاظ على النظام والثورة, وأما إدارة شؤون البلاد فتقع على كاهلكم أنتم أيها السادة المسؤولون؛ فكل منكم يدير البلاد من موقعه، والواجب الأساس للقيادة هو مراقبة كل هذه المواقع حتى تظل متناغمة مع النظام والإسلام والثورة, فإذا حدث خلل جاء دور القائد.

والقائد ليس شخصاً بعينه، وليس طالباً حوزوياً يسمّى علي الخامنئي أو ما أشبه من الكثيرين من أمثاله، بل إنه عنوان وشخصية وحقيقة نابعة من إيمان وحب وعاطفة الشعب، وهو كرامة وماء وجه.

وإنّ للمئات من أمثال علي الخامنئي أن يضحّوا بحياتهم وكرامتهم في سبيل هذه الحقيقة، ولا أهمّية لذلك.

ودعوكم منّي فأنا لست بشيء، ولكن إمامنا العظيم ــ الذي كان بحق إماماً لأفئدة هذا الشعب ــ لم يخرج عن هذا المعنى, فلقد كان مستعدّاً لإراقة ماء وجهه حفاظاً على النظام وقيادة هذا النظام؛ وهذه حقيقة لها حضور، ولن يستطيعوا تشويهها مهما قالوا ومهما فعلوا.

إنّ القيادة لم يكن لها هذا التجسيد في عصر الكبت؛ فلقد كانت هناك قيادة تستأثر بقلوب الجماهير المتديّنة، إلاّ أنها لم تكن ذات تشخّص وهوية خارج النطاق القانوني، وكانت تتمثّل في مراجع التقليد والعلماء الكبار, حيث ظهر تأثيرها لعدّة مرّات؛ ولهذا فإن تلك القيادة عندما كانت تحتج على معاهدة استعمارية فإنها كانت تُلغى، وعندما كانت تستنكر حادثة غير مناسبة فإن جماهير الشعب كانت تتدد أيضاً بهذه الحادثة.

ففي حادثة 15 خرداد[13]، وكما نقل، ضحّى الآلاف بحياتهم واستشهدوا على أيدي جلاوزة النظام البائد، مع أنّ إمامنا العظيم لم يكن في ذلك الوقت قائداً بالمعنى القانوني للكلمة، فلقد كان عالماً بارزاً، وهذا ما لا يمكن تجاهله، وهي ظاهرة لم تكن موجودة في الاتحاد السوفيتي، وإلا لما حدث كل ذلك.

فلو كانت موجودة لأخذت (هذه القيادة) بخناق يلتسين وأبعدته عن الساحة, عندما شعرت بأنه دخل الميدان ليقفز نحو المستقبل بحركة مجنونة ومتعجّلة، ولكانت الجماهير قد التفّت حولها، وهو ما لم يكن موجوداً.

الإصلاحات حقيقة ضرورية ولازمة

إنني أعتقد بأنّ الإصلاحات حقيقة ضرورية ولازمة، ولابدّ من تحقّقها في بلادنا, ولكن الإصلاحات عندنا لا تأتي اضطراراً حتى يجد أحد الحكّام نفسه مرغماً على القيام بإصلاحات فرعية تحت ضغوط المطالبات العنيفة، كلا، فالإصلاحات هي من ذات

---

[13] انتفاضة الخامس عشر من خرداد: اليوم الذي انتفض الشعب الإيراني فيه اثر إلقاء القبض على الإمام الخميني (ره) عام (1342هـ ش/ 1963م) في مدينة قم، وحبسه في مدينة طهران، أسفرت الانتفاضة عن مقتل العديد من المتظاهرين وتعتبر هذه الانتفاضة الحجر الأساس للثورة الإسلامية بعد خمسة عشر سنة.

الهوية الثورية والدينية لنظامنا. وإذا لم تتحقّق الإصلاحات بالتدريج فلسوف يؤدّي ذلك إلى فساد النظام ووصوله إلى طريق مغلق.

إنّ الإصلاحات فريضة، فما هي ميادين الإصلاحات؟ هذا بحث آخر, ولكن الإصلاحات أمر ضروري من حيث المبدأ ولابد من القيام بها, فعندما لا تجرى الإصلاحات ستُسفر الأمور عن نتائج كالتي نعاني منها اليوم: كعدم التعادل في توزيع الثروات، وتسلّط الجشعين الأفظاظ على جوانب النظام الاقتصادي في المجتمع، وانتشار الفقر، والمعيشة الضنكة القاسية، وعدم الاستفادة من مصادر البلاد بالشكل الصحيح، وهجرة العقول، وعدم الاستفادة كما ينبغي من العقول الباقية.

فعندما تكون هناك إصلاحات فإننا لن نتعرّض لكل هذه الآفات والأضرار، ولسوف نتلافى حدوث العشرات من أمثالها, فالنقطة الأولى إذاً هي كون الإصلاحات أمراً ضرورياً ولازماً.

إعطاء تعريف واضح للإصلاحات

وأما النقطة الثانية، فهي: أنه لابد وأن يكون هناك تعريف للإصلاحات، أولاً: لنا نحن الذين نريد القيام بالإصلاحات حيث ينبغي أن نعرف ونشخّص ماذا نريد أن نفعل، وثانياً: للشعب الذي من حقه أن يعرف ما هو مقصودنا بالإصلاحات؛ وذلك حتى لا يقوم كل واحد بتعريفها كما يحلو له؛ لأن هذا من شأن مسؤولي الحكومة، والجهاز القضائي، والمجلس، وسواهم.

فلابدّ من العثور على تعريف واضح للإصلاحات حتى تتضح الصورة, والوضع الذي نريد الوصول إليه في نهاية الطريق أمام كافة أبناء الشعب والمسؤولين ويعرفوا غاية المسير.

لقد كانت إشكالية السيد غورباتشوف أنه وضع أصبعه على الكثير من المساوئ والمشاكل، ولكنه كان يفتقر إلى تصوّر واضح لِما يجب القيام به، وحتى لو كان يمتلك هذا التصوّر الواضح، فإن شعبه كان مفتقراً إليه؛ وعلى هذا فإنه إذا لم نعرّف الإصلاحات تعريفاً واضحاً، فلسوف تكون الغلبة للنماذج المفروضة كما حدث في الاتحاد السوفيتي؛ لأنهم لم يكونوا يدرون ماذا يفعلون، فقلّدوا بكل سذاجة الإصلاحات في نموذجها وقالبها الغربي واعتمدوا على ذلك.

لقد شخّص إمامنا العظيم، بكل ما كان عليه من وعي، هذا الضعف في التجربة السوفيتية، وذكّرهم بها في رسالته إلى غورباتشوف؛ فكتب يقول: إنكم لو أردتم التغلب على المعضلات المُحيّرة في الاقتصاد الاشتراكي والشيوعي بالاعتماد على الرأسمالية الغربية، فإنه لابدّ للآخرين من أن يأتوا لإصلاح أخطائكم أنتم, فضلاً عن فشلكم في علاج أدواء مجتمعكم؛ وذلك لأنه إذا كانت الشيوعية قد وصلت إلى طريق مغلق في أساليبها الاقتصادية والاجتماعية، فإن العالم الغربي يعاني من نفس هذه المشكلة وسواها ولكن بشكل آخر.

وهذا هو ما يجعلني أردّد باستمرار: بأن الإمام كان حكيماً حقيقياً؛ فلقد شخّص الإمام موضع الداء في خضم كل تلك الضجّة الدعائية والإعلامية العالمية.

ولحسن الحظ فإن العديد من المسؤولين، وفي مقدّمتهم رئيس جمهوريتنا العزيز، قالوا مراراً: بأن إصلاحاتنا هي إصلاحات إسلامية وثورية، وإنّ الهدف هو الوصول إلى "مدينة النبي", وهي تعريفات جيّدة، ولكن لابدّ من تعريفات أكثر دقّة ووضوحاً, فهي جيدة؛ لأنها تحبط مساعي التضليل الغربية والأجنبية, وتبرز خطأ ما يدّعون؛ وهذا ما يدركه الجميع، ولكن لابدّ من توضيح أكثر وتصوير أوضح.

العمل على ترشيد الإصلاحات بالصورة الصحيحة

والنقطة الثالثة هي: أن الإصلاحات لابدّ وأن تسير وفق إرشادات مركز مقتدر وحكيم؛ حتى لا تتعرّض للانحراف.

فلو أردتم أن تنجزوا في عامين ما يمكن إنجازه بدقّة وعناية خلال عشر سنوات، فإن الإصلاحات ستتفتق عن أضرار لا يمكن تعويضها، وذلك كالسيارة التي تنطلق بسرعة بالغة على طريق شاق وخطر، فإنّ العجب هو من عدم تعرّضها لحادث اصطدام أو إصابتها بخلل وإعطال.

فلابدّ من وجود مركز قوي وحكيم؛ حتى يَحول بين هذه الحركة, وأن تتقدّم بسرعة فائقة عن الحد اللازم والمفيد، وحتى تسير الأمور بصورة متعادلة وصحيحة.

ففي الاتحاد السوفيتي عندما أقدموا على هذا العمل، إنفسح المجال أمام الأفلام والكتب والصحف والملابس والتقاليد الغربية، أي أنّ تلك الادّعاءات كانت تجسّد في الحقيقة مصاديق غربية بارزة، وهذه الحالة كانت من الخطورة بمكان.

وعليكم هنا بملاحظة دور وسائل الإعلام؛ لأنها مسؤولة, ولأن الصحف حسّاسة, ومن هنا ينبع الجزء الأكبر من حسّاسيتي إزاء الصحف.

إنّ الحديث حول الصحف والصحافة ليس حديثاً عن الحرية؛ فلا يحاول البعض أن يعرّف لنا الحرية، فلا مانع لدينا، ولنستفد من ذلك، ولكننا نعرف معنى الحرية، وأفئدتنا تنبض لها بشدّة.

إنّ المراد من الحرية هو نفس حرية التعبير وحرية الفكر، ولكن إذا أقدمتم على إغلاق محل أحد تجّار التهريب ــ طبقاً لِما يقتضيه الواجب منكم ــ فإنه لا ينبغي لهذا الشخص أن يقول لكم: بأنكم ضد حرية العمل والتكسّب، كلا، فالموضوع لا يتعلّق بالتكسّب والعمل؛ لأن العمل والتكسّب مشروعان، ولكن تجارة التهريب هي الممنوعة؛ فالحديث ليس حول حرية التعبير؛ لأن حرية التعبير والفكر مكفولة، ولكن الممنوع هو الإثارة والتضليل والتمويه، ولاسيما في هذه الظروف الحسّاسة التي تمرّ بها بلادنا اليوم.

لقد قلت لبعض المسؤولين الإعلاميين ــ عندنا مرات ــ: إنه إذا أتى ذلك اليوم الذي تملكون فيه القدرة والاستعداد للوقوف بوجه هجمات العدو الإعلامية، فإنني سأكون أول السبّاقين إلى تعدد المطبوعات والصحف والكتب والأفلام وما إلى ذلك، ولكن أخبروني كم فيلماً أنتجتم في مقابل عشرات الأفلام التي تعمل على زعزعة أركان الثقافة والعقيدة والدين والروح الثورية والتضحية والشهادة في نفوس أبناء هذا الشعب؟! ومن هنا فإنني أشعر بالخطر.

وبديهي فإن العمل الأساسي والبعيد الأمد هو أن نفكر في إنتاج كل ما هو جيد، ولكن إلى أن ينزل هذا الجيد إلى الميدان فإنه ليس بمقدورنا تقبّل هذا الفيضان الآسن, حتى يغرق الشباب والأطفال ومختلف الفئات الشعبية في هذا البلد.

إنهم يستخدمون الأساليب العدائية البغيضة والهدّامة لمواجهة الفكر الثوري، فإذا ما هبّ أحد في وجههم اتّهموه مباشرة بما يريدون! إنّ هذه ليست حرية، وليس هذا تعقّلاً أو حكمة، وليس هذا هو الأسلوب الذي تُدار به البلاد.

إنكم مسؤولون عن الاهتمام بدور وسائل الإعلام، وهذا في غاية الأهمية؛ وإنّ الشعور بالحسّاسية إزاء وسائل الإعلام المكتوبة وتجاه الصحف ــ وخصوصاً في ظروفنا الراهنة ــ لمن الأمور الفائقة الأهمية؛ وبهذا الشكل الذي وصفته لكم تتضح خطورة الدور الذي يمكن أن يلعبوه لصالح العدو؛ فينبغي أن تكون كافة الأجهزة وجميع الجبهات المتآلفة الموالية للنظام, وكذلك مسؤولو السلطات المختلفة, ومسؤولو المؤسسات العامة المتعددة خصماً لهم, بل يجب أن يكون الجميع خصماً لهم في هذه القضية وليس فقط الجهاز القضائي أو أحد علماء الدين.

المحافظة على هيكلية الدستور[14] في مجال الإصلاحات

والنقطة الرابعة هي: المحافظة على هيكلية الدستور في مجال الإصلاحات.

إنّ دور الإسلام وكونه منبعاً ومنشأً للقوانين والأبنية والوظائف يتجلّى في الدستور أكثر من أي شيء آخر؛ فلابدّ من الحفاظ بدقّة على هيكلية الدستور.

انظروا كيف يتعامل العدو مع دستورنا، إنه ينفي بعضه ويثبت البعض الآخر، ويتمسّك به أحياناً، وأحياناً أخرى يحمل عليه! إنّ الدستور هو ميثاقنا الوطني والديني والثوري العظيم, وإنّ الإسلام ــ الذي يمثّل كل شيء بالنسبة لنا ــ يتجسّد ويتبلور في الدستور, وإنّ الأصل الرابع[15] من الدستور يوضّح كل شيء؛ فلو كان في القوانين العادية ــ وحتى في الدستور نفسه ــ ما يتعارض مع الإسلام في مقام التنفيذ أو التشريع، فإن هذا الأصل يكون حاكماً عليه، أي حكومة بمعنى المصطلح الأصولي

---

[14] دستور الجمهورية الإسلامية: يشتمل على (175) بنداً في (12) فصلاً. وقد صادق عليه مجلس الخبراء في 1358/8/24هـ ش = 1979/11/15م. وصوت عليه الشعب ضمن استفتاء عام في1358/9/11هـ ش =1979/12/2، وأيده الإمام الراحل (قدس سره) في 1359/11/7هـ ش = 1981/1/27م، وأعيد النظر في بعض بنوده في شهر تير 1368هـ ش = أيار 1989م، وصوت الشعب على الإعادة ضمن استفتاء عام في 1368/5/6هـ ش =1989/7/28م.

[15] الأصل الرابعة: يجب أن تكون الموازين الإسلامية أساس جميع القوانين والقرارات المدنية والجزائية والمالية والاقتصاديّة والإدارية والثقافية والعسكرية والسياسيّة وغيرها، هذه المادة نافذة على جميع مواد الدستور والقوانين والقرارات الأخرى إطلاقاً وعموماً. ويتولى الفقهاء في مجلس صيانة الدستور تشخيص ذلك.

والعلمي السائد في الحوزات العلمية؛ وهذا هو ما لا حاجة لترديده؛ لأن حاكميته واضحة بلا كلام، ولكنهم صرّحوا بهذه الحاكمية؛ وعلى هذا فلابدّ من الحفاظ بدقّة متناهية على هيكلية الدستور في حركة الإصلاحات.

مواجهة ما هو حاد ومتعجل في الإصلاحات

والنقطة الخامسة هي: المواجهة بلا هوادة لكل ما هو حاد ومتعجّل, مما يمهّد السبيل أمام الأعداء، أي الطراز اليلتسيني! فعلى كل الأجهزة مواجهة الطراز اليلتسيني بشدّة، وألاّ تمنح الفرصة لكل من هو وصولي ومخدوع ومغرض وغافل ليحرّف المسيرة عن طريقها الصحيح؛ حتى لا يسفر الموقف عن حالة من التنافس والتعارض.

مجابهة التدخّل الأجنبي

والنقطة السادسة هي: المجابهة الجادّة لتدخّلات الأجانب والغربيين، وعدم الاهتمام بإيحاءاتهم، وعدم حسن الظن بهم, وأمّا فيما يخص المواضيع الدبلوماسية والعلاقات الخارجية فهذا بحث آخر, ففي العمل الدبلوماسي يعطي المرء، ويأخذ، ويعقد الاتفاقيات، ويقوم بكل شيء، وأما في القضايا الأساسية للنظام فلا ينبغي أن تنظر بحسن ظن لإيحاءاتهم، على خلاف ما نشاهده في موقف غورباتشوف.

إنهم يفتقرون تماماً إلى حسن النيّة؛ فلقد وجدنا في حرب السنوات الثماني كيف أنّ كافة أوربا، من فرنسا إلى ألمانيا إلى انجلترا إلى يوغوسلافيا السابقة إلى الكتلة الشرقية في ذلك الوقت قد قاموا جميعاً بمساعدة صدام.

وبالطبع فإننا في العمل الدبلوماسي لا نقول لهم بأننا سنقطع علاقاتنا معكم؛ لأنكم ساعدتم صدام, كلا، فعالم الدبلوماسية عالم آخر.

إننا موافقون على إزالة التوتّر المطروح اليوم في سياستنا الخارجية، فلا داعي لإثارة التوتّر، ولكن تجنّب التوتّر شيء والثقة بالغرب شيء آخر.

كلا، فنحن لا نثق به؛ لأنه لا يثق بنا, وإنّ الذين يعملون في الحقل الدبلوماسي يدركون تماماً ما أقول؛ فالساحة الدبلوماسية ميدان لحرب حقيقية، ولكنها معركة قائمة خلف الموائد, وسلاحها الإبتسامة وتحية الصباح وتحية المساء! فلا يجب أبداً أن تفهم العلاقات الدبلوماسية على أنها ثقة بالعدو، إذ لا ينبغي الثقة بالأعداء.

تناغم الإصلاحات في المجالات المختلفة

والنقطة السابعة هي: تناغم الإصلاحات في المجالات المختلفة، وهذه نقطة مهمة.

انظروا يا أعزائي! إنّ الإصلاحات أمر معقّد وشائك وبحاجة إلى تأنٍ في بعض المجالات، كما في المجال الاقتصادي مثلاً، فإن الأمور تسير بأناة شديدة، وكذلك عدالة التوزيع بالنسبة للعائدات، فهذا أمر عسير جداً وليس باليسير.

كما أنّ اجتثاث جذور الفقر, وتغطية المناطق المحرومة تُعد جزءاً من الإصلاحات أيضاً, وكذلك إصلاح النظام الإداري فإنه عمل في غاية الصعوبة والتعقيد والجسامة، فلابد أن يحدث بأناة وتمهّل.

وأما في المجال المشابه لغلاسنوست السيد غورباتشوف فالأمر يختلف تماماً؛ لأنه من الممكن منح ترخيصات لصدور عشرين صحيفة في يوم واحد، وهذا مما لا تناغم فيه، ولا تسير الأمور على هذه الصورة، فلابدّ لنا أن نتحرك بتناسق, وبما يتناسب مع الميادين الشاقّة خطوة بخطوة؛ ولهذا فإنني أشدّد دائماً على أولوية موضوع المعيشة؛ لأنه موضوع شاق, فلو استنفرتم كافة ما تملكون من طاقات، وعملتم بكل إخلاص وحماس ورغبة، وتحركتم بسرعة معيّنة، فعليكم أن تتحرّوا في بقية المجالات نفس السرعة؛ فإذا لم تتحرّوا التعادل والتناسق في هذه السرعة فإنكم ستواجهون الكثير من المتاعب الأساسية جداً، فبعضها يمكن أن يكون بالحسبان، والبعض الآخر لا يمكن، وبعضها يمكن التكهّن به، والبعض الآخر لا يمكن التكهّن به.

المواجهة الحاسمة لعناصر التجزئة القومية في البلاد

وأما النقطة الثامنة فهي: المواجهة الحاسمة لعناصر التجزئة القومية في البلاد؛ وإنني أخاطب المعنيين في هذا المجال بصفة خاصة، سواء في وزارة الداخلية، أو في الأماكن الأخرى.

فاعلموا أنّ إثارة النعرات القومية باتت مطمحاً جادّاً اليوم، وهذا ما يلحظه المسؤولون المعنيّون الذين يريدون متابعة الأحداث عندنا.

إنّ كافة القوميات الإيرانية تعشق إيران والجمهورية الإسلامية وتعتبر إيران وطناً لها.

إنّ انتمائي للمنطقة التركية شيء معروف، كما عشت مدّة طويلة في منطقة بلوشستان وتربطني أواصر حميمة بأهاليها، كما كانت لي علاقة بعيدة وقريبة مع أهالي المناطق الأخرى، ولديّ معلومات ليست بالقليلة عن أهالي المناطق التي لم أحظ باتّصالات معها وأعرف روحهم المعنوية جيداً؛ فلقد قمت بزيارات متعددة إلى تلك المناطق طوال حقبة مسؤولياتي المختلفة.

إنّ القوميات الإيرانية قوميات مسلمة، وتنبض أفئدتها بحب ماء وتراب هذا الوطن، وتجد عزّتها ورفاهيتها في إيران مجيدةٍ وحرّة، ولكن العدو لا يكف عن إثارة المشاعر، فلا ينبغي التقليل من خطورة هذه الإثارات.

واعلموا أنّ هذا الموضوع في غاية الأهمية، ويبدو أنّ بعض الأيادي تحرّك الخيوط حتى تفقد الحكومة سيطرتها على الأوضاع؛ فلو حدث مثل ذلك، لا قدّر الله، فسنواجه العديد من المشاكل؛ مما يقتضي الكثير من النفقات والطاقة والوقت، مما يحول بين المسؤولين والقيام بواجباتهم الأساسية.

عهدي مع كافة المسؤولين هو عهد الدين والثورة

لقد انتهى حديثي، ولكنني أريد أن أقول: بأنني أدعم بشدّة كافة المؤسسات القانونية في البلاد.

والذي يهمّنا بالنسبة للأفراد والشخصيات والمؤسسات هو الدفاع عن مواقعهم ومسؤولياتهم جميعاً، ومد يد العون لهم ليؤدّوا واجباتهم على أفضل وجه.

كما أنّ رئيس الجمهورية، ورئيس السلطة القضائية، ورئيس مجلس الشورى الإسلامي، والمؤسسات التي يديرونها، وكذلك الأجهزة القانونية المختلفة كلهم سواء بالنسبة لي من هذه الجهة، وإنني أعلن عن دعمي ومساندتي لمسؤوليتهم جميعاً؛ ولعلّ السبب في ذلك هو: أنني أعرف كافة المسؤولين رفيعي المستوى عن قرب، وألمح فيهم الإخلاص والتديّن والالتزام.

وبالطبع فإن هذا الدعم ليس دعماً مطلقاً، فعهدي مع كافة هؤلاء الأخوة الأعزاء هو عهد الدين والثورة.

وكما أسلفت، فإن الغاية والهوية والمسؤولية الأساسية للقائد هي: الدفاع عن مجموع النظام والحفاظ عليه.

وإنني ليس لديّ ما أبذله من متاع سوى حياتي وماء وجهي، وهو متاع زهيد أضحّي به في هذا الطريق، وإنني على استعداد تام لبذل هذين الشيئين.

لقد أمضينا مرحلة الشباب ــ والتي هي فترة الاستمتاع بالحياة ــ في هذا السبيل، وها نحن اليوم في مرحلة الشيخوخة, وإنّ الحياة لا تمثّل لذّة لي في مثل هذه السن، فلذّة الحياة لم تعد لذّة لي اليوم؛ وإنه لا تعلّق بالحياة في أواخر العمر وموسم انحطاطه, وفي فصل ضعف القوى البدنية وسائر القوى البشرية الأخرى, فكل ما أملكه من متاع ــ أي الحياة والكرامة ــ رهن هذا السبيل، ولست أملك مالاً والحمد لله.

وأما بالنسبة لهذه المسؤولية الراهنة فليست مما أهواه مطلقاً، ولعلّ الكثيرين منكم لا يعرفون هذا، ولكن الكثيرين من الحضور في هذا المكان على علم بذلك.

إنني لا أهفو إلى مسؤوليتي الحالية مطلقاً، إلاّ أن تكون أداءً للواجب؛ والآن، وقد تحمّلت هذه المسؤولية، فليس إلاّ قياماً بالواجب، ولم يخرج الأمر من ذلك منذ اليوم الأول.

ولقد واجه السادة في مجلس الخبراء مقاومتي وامتناعي ومخالفتي الشديدة والمتوالية منذ اليوم الأول لاختيارهم لي، ولكن عندما آن أوان تحمل المسؤولية قلت: "فخذها بقوة"[16]. فلست ممن يبدي وهناً إزاء ما يلقى على كاهلي من مسؤوليات، كلا، فهذا واجبي، ولسوف أقوم بأداء هذا الواجب بفضل الله وهدايته وتوفيقه.

أعزائي! إنّ الآية التي تلوتها عليكم في بداية هذا الحديث تتعلّق بإحدى غزوات الرسول (ص) وهي <الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم>[17]، فكان جوابهم <حسبنا الله ونعم الوكيل>[18].

وبالتأكيد فإن <حسبنا الله ونعم الوكيل> لا يتأتّى مع القعود والراحة.

---

[16] سورة الأعراف، الآية: 145.

[17] سورة آل عمران، الآية: 173.

[18] سورة آل عمران، الآية: 173.

فليس من المعقول أن نعقد أيدينا على صدورنا، ولا نبذل جهداً، ولا نقوم بحركة، ولا نحمل أرواحنا على أكفّنا، ولا نريق ماء وجوهنا، ثم نقول <حسبنا الله ونعم والوكيل>! وليس الله بكاف عبده إلاّ أن يجاهد في سبيله في ساحة النزال.. وإننا اليوم في ساحة للقتال حتى لو لم تكن معركة عسكرية ولا حرب حياة أو موت؛ ولأن المستكبرين في العالم يعادون الإسلام والنظام الإسلامي بضراوة، فكل إجراء جيد نقوم به، وكل قانون جيد نشرّعه، وكل تطبيق جيد نَقدم عليه، وكل حكم جيد نصدره، وكل حركة جيدة تبدر منّا، وكل عمل تكون غايته تقوية هذا النظام وتقوية الإسلام، فإننا في الواقع نكون قد وجّهنا ضربة للعدو، وعندئذ نقول <حسبنا الله ونعم الوكيل>, ويكون الجواب الإلهي <فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم>[19].

ولحسن الحظ فإن لدينا أديناً مختلفة تتعايش في بلادنا، فاليهود، والمسيحيون، والزردشتيون، يعيشون معاً بجوار الإسلام وفي ظل النظام الإسلامي، وهم متعاونون ومتعايشون معنا، ويقوم كل منهم بدوره, وطبعاً فإن عليهم واجبات، كما أنّ على الحكومة الإسلامية أيضاً واجبات إزاءهم بصفتهم مواطنين إيرانيين، فعليهم بالقيام بهذه الواجبات، وأن لا يتقاعسوا عن أدائها.

إنه لا توجد لدينا أية شكوى من مواطنينا من الأقليات الدينية.

وإنكم تلاحظون أن اليهود الإيرانيين يصدرون البيانات عندما تأخذ دعايات الأعداء شكلاً حاداً ضد الجمهورية الإسلامية, وكذلك الأرامنة مع الطوائف المسيحية الأخرى فإنهم أصدروا بياناً عبّروا فيه عن دعمهم للجمهورية الإسلامية في إحدى القضايا، وهذا يعدّ من مفاخر الجمهورية الإسلامية.

أعتقد أنّ الاعتذار الذي قدّمه السيد خاتمي في نهاية حديثه لابدّ وأن أقدّمه أيضاً لكن مضاعفاً، حيث طال حديثي بشكل كبير؛ ولكنّ هذا الكلام هو ما كان عليكم أن تستمعوا إليه أنتم أيها المسؤولون الأعزاء، فأنتم المخاطب الأول في مثل هذه القضايا، وإذا لم نتحدّث معكم بمثل هذا الكلام فمع من نتحدّث؟

---

[19] سورة آل عمران، الآية: 174.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبّل ما قلناه وما سمعناه، وأن يُقرّب هذا الاجتماع بين قلوبنا ــ كما قلت في بداية الحديث ــ، وأن يزيد من الألفة بين الإخوة والأخوات الأعزاء الذين هم مسؤولون جميعاً، وأن يجعل جبهة الموظفين والمسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية أكثر قوة واتحاداً، وأن تشملنا البركات الإلهية وعناية بقية الله الأعظم (أرواحنا فداه) إن شاء الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته